الاسس الفنية و الوظيفية لعلامات الدلالة

د.اياد الحسيني
هدى فاضل عباس

لتصبح علامات دالة ناطقة معبرة عن لغة غير لفظية توصل رسالة او فكرة.

تعد العلامة نظام اتصال فعال، يمكن ان يرقى ليكون لغة ، والاشكال التي تدخل في تركيب تكويناتها (composition) تحمل رموزاً (symbol) ذات دلالات تكون معنى ، فالمصمم يقدم عمله متضمناً معاني ودلالات رمزية متمثلة باشكال العلامات التي يقصد من تصميمها ايصال لغته الى المتلقي، وهذه الاشكال تمثل مفردات للغة علاماتية تحمل قصد المصمم الموجه للمتلقي والذي بدوره يدرك هذه الاشكال، اذ يرتبط ادراكه بما يحمله من مفردات ومعان ذهنية مخزونة في الذكرة.

من هنا يمكن ان نتصور عملية الاتصال بالعلامة على انها نتاج علاقة بين لغة قصدية متمثلة (بالعلامة) من جهة والقدرة المعرفية من خلال التمكن من لغتها بما تحمله من معان من جهة اخرى ، اذ ان معرفة العلامة لها اثرها الواضح في العلاقة بين لغتها وادراك معناها.

مما تقدم نجد ان كلاً من لغة العلامة وادراك معناها كلاهما متغيران تؤثر فيهما المعرفة بالعلامة من خلال ادراكها.

فالمعرفة العلاماتية هي من اهم العوامل التي تساعد في تشخيص الخلل في عملية الاتصال بين المستويات المختلفة ولا سيما بين النخبة المصممة للعلامة كمصدر للغة القصدية من جهة والمجتمع كونه متلقياً من جهة اخرى، من هنا كانت مشكلة البحث.

لذا كان من الضروري دراسة مفهوم العلامة والمعرفة اسسها وعلاقتها في تحقيق الاتصال (communication) خصوصا ان للعلامة تاريخها الطويل الذي يقاس بعمر الحضارات.

الفصل الاول

(منهجية البحث)

١-١ مشكلة البحث

تمثل العلامة منظومة (system) من العلاقات المترابطة التي يعمل بها كل عنصر من خلال تلاحمه مع عنصر اخر وصولاً الى الشكل الكلي واظهاره بصورته النهائية المنسجمة التي تحقق الجذب والانتباه، ومن هنا نجد اننا ازاء بنية متماسكة بشكل العلامة الدلالي الذي يحمل من خلال مجموع هذه العناصر تعبيرات دلالية ذات معنى، بعد ان تتخذ شكلاً وحجماً ولوناً وتركيباً لتصبح علامات دالة ناطقة ومعبرة عن لغة غير لفظية توصل رسالة او فكرة.

تعد العلامة نظام اتصال فعال، يمكن ان يرقى ليكون لغة ، والاشكال التي تدخل في تركيب تكويناتها (composition) تحمل رموزاً (symbol) ذات دلالات تكون معنى ، فالمصمم يقدم عمله متضمناً معاني ودلالات رمزية متمثلة باشكال العلامات التي يقصد من تصميمها ايصال لغته الى المتلقي، وهذه الاشكال تمثل مفردات للغة علاماتية تحمل قصد المصمم الموجه للمتلقي والذي بدوره يدرك هذه الاشكال، اذ يرتبط ادراكه بما يحمله من مفردات ومعان ذهنية مخزونة في الذكرة.

من هنا يمكن ان نتصور عملية الاتصال بالعلامة على انها نتاج علاقة بين لغة قصدية متمثلة (بالعلامة) من جهة والقدرة المعرفية من خلال

التمكن من لغتها بما تحمله من معان من جهة اخرى ، اذ ان معرفة العلامة لها اثرها الواضح في العلاقة بين لغتها وادراك معناها.

مما تقدم نجد ان كلاً من لغة العلامة وادراك معناها كلاهما متغيران تؤثر فيهما المعرفة بالعلامة من خلال ادراكها.

فالمعرفة العلاماتية هي من اهم العوامل التي تساعد في تشخيص الخلل في عملية الاتصال بين المستويات المختلفة ولا سيما بين النخبة المصممة للعلامة كمصدر للغة القصدية من جهة والمجتمع كونه متلقياً من جهة اخرى، من هنا كانت مشكلة البحث.

لذا كان من الضروري دراسة مفهوم العلامة والمعرفة اسسها وعلاقتها في تحقيق الاتصال (communication) خصوصا ان للعلامة تاريخها الطويل الذي يقاس بعمر الحضارات، فقد عرفت قبل اللفظ وظلت في تطور مستمر حتى وقتنا الحاضر، فهي انعكاس لتطورات المجتمع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وان ثقافة أي مجتمع تحدد بمدى معرفتهم بمعاني هذه العلامات التي تنوعت وتشعبت وغطت مختلف جوانب الحياة.

من خلال الاطلاع على الادبيات لم نجد تصوراً واضحاً وشاملاً عن علاقة علامة الدلالة باللغة المرئية والعملية الاتصالية التي تحققها العلامة التي هي علاقة بين لغة وادراك المعنى، واثر المعرفة في هذه العلاقة اذ لم تشخص بشكل منهجي واضح.

وبما ان العلامة تعد احدى الوسائل المهمة والاكثر فاعلية في تحقيق اتصالية مع المتلقي، لذا تولدت لدى الباحثة ومن خلال الدراسات الاستطلاعية في هذا المجال بعض التساؤلات ومنها:

- ما مدى اهمية الاسس الفنية للعلامات الدلالية في تحقيق الجانب الوظيفي والدلالي لهما، وتلك الصفة عندما تفتقر لها العلامات، لا تؤدي وظيفتها الدلالية؟
- ما هي الاسس الفنية المحفزة للعلامة والتي تؤثر في طريقة تعبيرها عبر الزمن وجهد الاستيعاب؟
- وبالنظر لعدم توفيق المعلومات الخاصة بهذا النوع من التصاميم- حسب علم الباحثة- لذا كان من الضروري اجراء مثل هذه الدراسة وهي (الاسس الفنية والوظيفية لعلامات الدلالة المطبوعة في العراق).

١-٢ /*اهمية البحث*

نمت المعارف البشرية الحديثة نمواً كبيراً، وازدهرت منطلقاتها النظرية منذ القرن السابع عشر، وانبثقت فروع لعلوم انسانية جديدة كعلم النفس وعلم الاجتماع، وتنوعت اساليب دراسة هذه الفروع ومن ضمنها علم السيمياء (semology) الذي هتم بدراسة العلامة التي تعد اداة ذهنية او مظهراً من مظاهر فاعلية العقل البشري واهميتها في مضمار الحضارة البشرية فضلاً عن اهميتها في تحقيق الاتصال والتفاعل الفكري مع الذات البشرية ومن ثم الامتداد بهذا الاتصال عبر الزمان والمكان.

لذا فان اهمية البحث الحالي تاتي من اهمية العلامة نفسها اولا ومن ثم التركيز على الاسس الفنية المستخدمة في تصميمها والدور الوظيفي والفني لها.

وتكمن اهميته في تقديم رؤية بنائية خاصة بالاسس الفنية لعلامات الدلالة، مستنداً الى قاعدة فكرية معاصرة تجيب عن كل التساؤلات التي حددتها المشكلة، لذا فان فائدة هذا البحث تتمحور حول اقطاب عدة منها:

١. فتح افاق معرفية للدراسين في مجال التصميم الطباعي للاستفادة منها في تحقيق مفاهيم جديدة عن الاسس الفنية والوظيفية للعلامات.

٢. تعزيز الرؤيا التصميمية من خلال كشف غموض العلاقة في صياغة اشكال العلامات الدلالية، عن طريق توضيح طبيعة الاتصال بينها وبين المتلقي.

٣. ان فقر المكتبة العربية من دراسات عن هذا المجال يعطي اهمية له ويؤكد الحاجة اليه في ضرورة توفير المصادر الباحثة في العلامات الدلالية الخاصة بكل الفنون وخاصة المطبوعات التصميمية التي بقيت بعيدة عن مثل هذه الدراسات.

١-٣ هدف البحث

يهدف البحث الحالي الى:

-الكشف عن الاسس الفنية ومفرداتها ودلالاتها الوظيفية في تصميم علامات الدلالة.

١-٤ حدود البحث

يتحدد البحث بالمجالات الاتية:

١. الموضوعية: العلامات الدلالية الارشادية المنفذة على الواح محددة والمستخدمة في العديد من نواحي المجتمع.

٢. المكانية: في محافظة بغداد على الرغم من ان معظمها هي علامات دولية لا حدود مكانية لها.

٣. الزمانية: الفترة المعاصرة من ١٩٥٠ لغاية ٢٠٠٠ على الرغم من ان معظمها تمتد من ازمنة سابقة والى ازمنة لاحقة.

١-٥ تحديد المصطلحات

لقد حددت اهم المصطلحات الواردة في البحث وهي:

١. الدلالة (signification):

الدلالة في اللغة

-دل ، يدل: ودل على الشيء ، دالا ودلالة : هداه اليه.(١٠٣- ص١٥)

-دل، دلالة ، ودولة ودليلي الى الشيء وعليه: ارشده وهداه ، والدلالة ، ما يقوم به الارشاد البرهان .(١١٢-ص٢٢٠)

علم الدلالة (sematices)

عرف علم الدلالة بتعاريف كثيرة منها:

- هو علم يهتم بدراسة العلاقة بين الدال والمدلول، ودراسة معانيها من خلال علاقتها الدلالية التي بين الشكل والمضمون (٩٨- ص٢٣).
- اما جوفسكي فيعرفه: بانه علم يهتم بالمعنى، وهو الجزء الثاني من اللغة، اما الجزء الاول فهو الشكل .(٢٩-ص١٥٥)

اما الدلائل: فهي جمع دلالة ويعرفها بونتا بانها:

تؤشر الى شيء ما موجود في الحقيقة، علماً انها تخضع للخزين المعرفي وتجارب ومعتقدات المتلقي .(٢٢-ص٤٤-٤٥)

التعريف الاجرائي لعلم الدلالة:

هو علم يهتم بدراسة العمنى من خلال علاقة الشكل بالمضمون او (الدال- بالمدلول) وتنتج عن هذه العلاقة علاقة اخرى هي الدلالة التي بدورها تحفز التصورات الذهنية لدى المتلقي معتمداً على الخزين المعرفي

التي من خلالها يفسر المعنى او يصل اليه. والدلالة: هي علاقة تتحقق من خلال تالف عنصرين (الدال والمدلول).

٢. علم العلامة(السيميائية):

- حددها بارت بانها: تقوم على العلاقة بين الدال والمدلول ، والعلامة مكونة من الدال الذي (يمثل المادة) والمدلول (يمثل المحتوى) .(٦٥-ص٩٧)
- ويعرفها صلاح فضل بانها: علم يهتم بدراسة العلامات وكيفية الرموز والقوانين التي تحكمها.(٥٨-ص٤٤)
- اما رومان جاكوبسن فقد عرفها : بانها علم تؤسسه بنية كل العلامات فهو علم يتعامل مع الانظمة الاشارية المتعددة والرسائل المتنوعة التي ستخدم العلامات بمختلف انواعها.(٤٠-ص١١٥)
- وتعرف الباحثة(السيمائية): اجرائيا بانها: علم يهتم بانساق العلامات ذات الدلالات الوظيفية الاتصالية التي تتم من خلال تحليل العلامة التي توصلنا لايضاح المعنى.

العلامة(Signe)

- يعرفها هوكز بانها: اشارة تدل على شيء مؤلف من دال ومدلول ومن خلال العلاقة الرابطة بينهما تنتج دلالة، او حدث يشكل دليلاً لمفهوم اساسي في السيميائيات .(٩٨-ص١١٢)
- اما البستاني فتعرفها بانها: اداة لنقل الافكار، وتتكون من جانبين متصلين مع بعضهما هما الدال (signifier) كالشكل واللون ، الفضاء والمدلول signifier او مستوى المحتوى كالمعاني والافكار التصميمية

والقيم الجمالية وينتج من ربط الدال بالمدلول دلالة مباشرة ضمنية. (١٩-ص٧٥-٧٦).

- اما سوسير فقد عرفها بانها: كيان ثنائي المبنى، يتكون من وجهين يشبهان وجهي (العملة النقدية) لا يمكن الفصل بينهما، هما الدال الذي يثير الحواس التي بدورها تولد في الذهن صورة او فكرة المدلول(٦٥-ص٨٤).
- وقد حددتها الباحثة بانها: مطبوع يصمم من اجل ان يفهم من نظرة سريعة، فهي وسيلة مرئية تعبر عن فكرة او موضوع اما بالرسوم او الصور او الحروف او العبارات المناسبة لنقلها الى جمهور ما، بحيث يكون للفكرة معنى واضح يتحقق من خلال اتحاد الدال بمدلوله الموجود في عقل الانسان اللذين يؤلفان ترابطاً متالفاً من خلالهما تتحق وتتكون العلامة لتؤدي وظيفتها الاتصالية.

اولاً: اصناف العلامة:

١.الايقونة(Icon) : هي احد اصناف العلامة

- عرفها بيرس بانها: علامة تربطها علاقة تشابه بين الدال والمشار اليه سواء بالموضوع او العرف او النوعية او كائن حي او صور فوتوغرافية فهي مطبوع (مصورة دالة) تحيل الى شخص ما موضوعاً معيناً على وفق مبدا التشابه.(٦٥-ص٨٣)
- وعرفها هوكز بانها: شيء يصف شيئاً ما للاشارة الى الموضوع الذي ترمز اليه العلامة (٩٨-ص١١٦).

الايقونة: هي الصورة

- الايقونغرغرافية: اصطلاح يعني اما تمثيل الافكار او التجارب بواسطة الصور والرموز (ايقونات) او دراسة هذه الصور والرموز وتفسيرها لا سيما كما تظهر عند فئة مفردة او مدرسة من المدارس او ثقافة من الثقافات .(١٠١-ص٢٠)
- وتتفق الباحثة مع تعريف بيرس الذي يتناسب مع ما يرمي اليه البحث.

٢.الاشارة (signal)

- عرفها بونتا بانها: مؤشرات تستخدم عمداً لايصال معلومة مدركة يستطيع المتلقي تفسيرها (٢٢- ص٤٤).
- معظم العلامات من صفاتها انها ذات طبيعة خطية، تكتسب معناها من النظام الذي توضع فيه (٦٥- ص٤٤).

كما انها تمثل جوهراً حساساً صورته الذهنية مرتبطة بتفكيرنا وظيفتها تمهد الاتصال، وهي علامة قصدية في ايصال المعنى(٣٠-ص٥٦-٥٧).

التعريف الاجرائي للاشارة

هي احد اصناف العلامات الارادية التي تكون العلاقة بين المصورة والموضوع علاقة شببية منطقية، اذ يستخدمها المرسل بوعي ويتلقاها المستقبل(المتلقي) وتتخذ العلامة الاشارية طابعاً خطياً تكسب معناها ودلالتها من النظام ومجموع العناصر المكونة لها لتمثل لغة تعبيرية لتوصل معلومة عن شيء ما حامل لمعنى.

٣.الرمز (symbol)

- يعرفه موريس بانه : علامة العلامة أي انه العلامة ذات قصد ينوب عن علامة مرادفة له (٦٥- ص٩٦).
- اما سوسير فقد عرف الرمز بانه: متكون من العلاقة الغير مباشرة بين الدال والمدلول (٥٨- ص٣٩).
- ويعرف ايضا بانه: العلاقة بين المصورة والموضوع وهي العلاقة تحكمها القوانين او العادات الماخوذة من حقائق متعارف عليها "عرفية" ولا يوجد تشابه او صلة طبيعية بينهما (٨٠- ص٨٢-٨٣).
- وكذلك هو: الشيء يقوم بوظيفة العلامة لا يتطابق مع الموضوع الذي يشير اليه، فالعلاقة بين العلامة وما تشير اليه اعتباطية، تعتمد على الاعراف والتقاليد في عملية التاويل والفهم للمتلقي (٣٩- ص٨٤).
- هو شيء يهتدى بعد اتفاق تقبله جميع الاطراف باعتباره يحقق مقصداً معيناً.(٧٨-ص٢٤٨).
- هو اشارة مرئية الى شيء غير ظاهر بوجه عام(٨٦- ص٥٤).
- وقد عرف الرمز في قاموس اكسفورد بانه: شيء جرى الاتفاق العام على عده تجسيداً او تمثيلاً او استدعاء لشيء اخر لامتلاكه مواصفات متجانسة او بسبب الترابط في الواقع او الفكر (٤٢- ص٧٩).
- اما التعريف الاجرائي للرمز فهو : شيء يقوم بوظيفة العلامة اذ يشير الى جوهر الاشيء لا الى ظاهرها، وتكون العلامة وما تشير اليه اعتباطية يهتدى اليها بعد اتفاق وتقبل جميع الاطراف المستخدمة لها لتكسب عرفيتها كونها تحقق مقصداً معيناً.

٤. المؤشر (indexe)

عرفه سوسير بانه شيء يقوم بوظيفة العلامة من خلال الربط الواقعي الفيزياوي مع الموضوع فانها تنتج بقصد الاتصال(٤٠-ص٨٤).

وعرفه هوكز ايضا بانه: يؤدي دور العلامة عبر قانون ما للربط العرفي او المالوف بينه وبين الموضوع، من خلال علاقة الدال بالمدلول بالمؤشر(٩٨-ص١١٧-١١٨).

اما بونتا فقد عرفه بانه: حدث يمكن ادراكه مباشرة ومن خلاله نحصل على معلومات لاحداث اخرى لا يمكن ادراكها بصورة مباشرة(٢٢-ص٤٣-٤٤).

المؤشرات

هي علامات لا ارادية أي (العوارض) التي ينتجها المرسل دون قصد منه اذ تحمل المؤشرات دلالات اولية للعلامة المبثوثة ودلالات ثانوية (تضمينات) تملكها العلامة نفسها لكن الاهتمام هنا يكون بالدلالات الثانوية اكثر من الدلالات الاولية (١٠٩-ص٥١).

وتتفق الباحثة مع التعريف الاخير الذي يتناسب مع ما يرمي اليه البحث.

الفصل الثاني

المبحث الثاني: مفهوم الاتصال

الاتصال

يحتاج الناس في اثناء تفاعلهم مع المواقف المختلفة في مجرى الحياة اليومية، الى استخدام ما يحافظون به على الاتصال مع الاخرين لتحقيق اهداف عدة في ان واحد كالتعبير والتفام من خلال استخدامهم لنسق رمزي او علاماتي يمثل لغة غير لفظية عند الاتصال.

والاتصال هو عملية ارسال واستقبال المعلومات والاشارات او الرسائل عن طريق الايماءات والكتابات والعلامات والرموز الاخرى من كائن اخر. اذ يربط بين ثقافات افراد المجتمع والتي تكون نسيجاً موحداً بين افكار وعقائد وميول وسلوك اعضاء ذلك المجتمع.

ان الاتصال قديم قدم المجتمع البشري، فقد استخدمته الشعوب القديمة (ولا سيما لغة- العلامة) بوصفه عملية اتصالية فالتبادل بمعناه البسيط قائم منذ ان وعى الانسان حقيقة وجود بدءاً بالاشارات وانتهاء باكتشاف اللغة وصولاً الى وسائل الاعلام الذي اصبح فناً حضارياً قائماً بذاته، يتصل باسباب الحضارة وينتج منها يغذيها (١١٢-ص٨٦) وتمثل العلامة نوعاً من الاتصال الموجه الى الاخرين وتتمثل بتعبير او فعل خارجي يمكن للاخرين ادراكه ويهدف التعبير او التبليغ عن افكار ومشاعر ومقاصد فالعلامة هي محاولة مقصودة للافهام او الدلالة او البيان على معنى او قصد معين.

وفكرة الاتصال تقوم اساساً على مبدا التغلب على التفكك الناشيء عن التقسيم المكاني والزماني للعالم ومستندة الى المعرفة التي من خلالها يستطيع الانسان الخروج والانتقال الى أي مجال للوجود فدرجة الاتصال التي

تبلغها المعرفة تعتمد اعتماداً كبيراً على درجة الروح الاجتماعية الموجودة في مجتمع ما، وعلى درجة معرفتها بالموضوعات وفقاً لتركيب العلامة الدلالية والظروف الخاصة بها، التي تقدم وسيلة شاملة للاتصال بين الناس(١٩-ص٨٣-٨٤) والعلامات الدلالية ما هي الا اساليب فنية رمزية تستخدم في ايصال اشارات او معلومات معينة كما في العلامات الايقونية الموجودة في الفنادق او العلامات التي توضع على الطريق او العلامات الرياضية وهذه كلها تمثل اساليب فنية تخدم مجالات الاتصال علماً ان (الطراز الفني) للعلامات واحد ذو نمطية موحدة مميزة لافكار المجتمع ونشاطاته التي ينبع منها ذلك الطراز المرتبط بعادلت تقليدية وعرفية متوارثة فالاتصال يستدف تحقيق العمومية لفكرة او موضوع عن طريق انتقال المعلومات للاشخاص باستخدام رموز ذات معنى موحد ومفهوم بالدرجة نفسها لدى كل من الطرفين.

والاتصال هو معادلة التفاعل الانساني في حدود الزمان والمكان أي اننا لا نستطيع استعاب هذا المفهوم اذا اقتصرت رؤيتنا على الاشكالات المكانية المرتبطة به كما يتعذر علينا فهمه اذا اكتفينا بتخليله في اطار حركة الزمان وما يتخللها من احداث (٩٤-ص٢٧٨).

والانسان بطبيعة وجوده قائم على الاتصال فهو لا ينقطع عن التواصل فهو يتكلم حتى لو كان صامتا (١١٤-ص٣٧-٤٤) فنجد العلامة تصاحبنا في كل خطوة في حياتنا وتوجهنا وتقودنا بدءاً باشارات المرور التي تحدد السير وانتهاء بالاعلانات في الشوارع فهي من الوسائل الاعلامية التي تعبر عن القيم الاجتماعية والثقافية والمعرفية والخاصة بالعلامة وقضايا الدلالة.

وتحقيق الاتصال بالعلامة يقترن في طبيعته بحجم العوامل المؤثرة الداخلة في العلامة والتي تتباين في تاثيرها باختلاف المكان والزمان وتشمل على:

١- عامل المنفعة.

٢- التباين الثقافي.

٣- طبيعة الاتصال.

٤- ديمومة الاتصال.

٥- تعددية قنوات الاتصال.

٦- الظروف الاستثنائية (٩٤-ص١٦٩).

وقد قل بعضها في الوقت الحالي وتلاشى بعضها بوصفها معوقات من خلال تغير طبيعة الحياة والوسائل المستخدمة فيها، اذا فان تحقيق الاتصال يكون عن طريق العلامة التي تاخذ قيمتها الوظيفية من وجود الانسان ومستواه الادراكي والثقافي الذي يعطي صورته المعرفية في ادراك ماهية العلامة التي ينظر اليها.

لكن الاتصال بالعلامات الدلالية اوجد ابعاداً مختلفة تتجاوز في حدودها ما كان سابقاً اذ اصبح التفاعل وظهوره عاملاً مؤثراً في ادراك حقيقة العلامة، فالمفاهيم المتولدة بوساطة العلامات الدلالية بوصفها واسطة للاتصال تزيد من معدل التحول والتغير الحاصل لدى الانسان ورغبته في السمو ساعياً وراء تحقيق ذاته (٢٧- ص١٧٧) فالانسان الذي نشا في مدن ذات حضارة سابقة في ضمن بيئة بطيئة التحول، يبني انموذجه الواقعي من الصور التي يلتقطها مكونا خزينا معرفيا يسيرا جدا. فتكون مفاهيمه للعلامات الدلالية ضبقة المدى مقارنة بالمستويات الثقافية المتعددة في عالم اليوم.

اذ يشكل الاتصال قوة حضارية وعلمية اجتماعية وهناك تفاعل مستمر بين العلامة والمجتمع كوسيلة اتصالية وهذا التفاهم لا يتم الا من خلال معرفة الافكار والمعتقدات والمبادىء وتاريخ البيئة التي تصمم بها العلامة

(١-ص٢٩-٣٠) وتعتمد عملية الاتصال على انتقال الرموز ذات المعنى وتبادلها بين المتلقي والعلامة ومعانيها الثقافية التي تعتمد على الخبرات المشتركة من المعاني فالاتصال في جوهره هو نقل معان عن طريق الرموز المتعارف عليها وان التقدم والتعقيد قد خلق صعوبات في الاتصالات الشخصية ولكن عبر المطبوعات والعلامات الدالة وبتطور التكنولوجيا اصبحت هذه العلامات تنوب عن اللغة اللفظية في ايصالها للمعلومة لاكبر عدد ممكن من الجماهير بمختلف مستوياتهم الثقافية حيث اصبح للمرسل القدرة على الاتصال بالملايين في كل مكان ويوجه اليهم الرسالة نفسها علما ان الجمهور متلق للرسالة بصورة فردية فالفكرة التي تبثها العلامة الدلالية لموضوع معين ليس لها طابع شخصي، اذ ان جميع العلامات التي تشكل منها الرسائل والمتمثلة بالاشارات والصور والحركات والكلمات والارقام والايحاءات والرسوم ولغة الاشارات للمعوقين كلها ادوات اتصالية (٦٧-ص٧٤) ترجع اهميتها من خلال المقدرة على المشاركة والتفاعل مع الاخرين وتبدل الاراء والافكار والمعلومات التي تزيد من فرصة الفرد في البقاء والنجاح والتحكم بالظروف المختلفة المحيطة به في حين ان عدم القدرة على الاتصال مع الغير يعد نقصا اجتماعيا ساكولوجيا خطيراً (٨٣-ص٩٨).

العلامة والمتلقي

يهتم المصمم بعرض الافكار والمفاهيم بقيم وافكار جديدة باستخدام الكلمة او الاشارة الرمزية والايقونة في ظل الظروف التي تهيء له النجاح في احداث تفاعل بين العلامة والمتلقي.(٦١-ص٦٩) فهو يهتم باستخدامه للرموز والدلالات المناسبة وتوجيهها على شكل رسالة تتضمنها العلامة الى المستقبل، وهو العنصر المهم في عملية الاتصال لانه يمثل الغاية النهائية

لتحقيق هذا الاتصال لذا لابد ان تتصف العلامة بالفهم والوضوح لغرض تحقيق الاستجابة لتؤدي العلامة هدفها الوظيفي في الاتصال. وهذا يعتمد على وضوح دلالات الصور والرسوم والرموز المستخدمة كونها تعد من اهم العناصر المتصلة بالعلامة، والاساءة في فهم هذه الدلالات وعدم وضوح مغزاها سيؤدي الى فشل العلامة في تحقيق هدفها الوظيفي في افهام المتلقي وامكانية استخدامه للعلامة لما لها من قدرة عالية على اعطاء المتلقي المعلومات والافكار عن الموضوع الذي صممت من اجله والذي بدوره يرفع من المستوى المعرفي للمتلقي في هذا المجال او المجالات الاخرى.

فالعلامة تعد وسيطاً مادياً عن طريقه تنتقل فكرة ما، وبدون هذا الوسيط تظل الفكرة غامضة وبعيدة عن انظار الناس الا اذا تجسدت هذه الفكرة بصورة العلامة التي يمكن ادراكها وحل رموزها وتفسيرها(١-ص١١٠).

اذ تهتم السيميائية بدراسة العلامات التي يكون فيها التواصل الانساني بطرائق ارسالية بصرية وحركية .. وغيرها والمخطط ادناه يوضح مفهوم التواصل فاذا ارسل مرسل (المصمم) ارسالية بغية مخاطبة المستقبل(المتلقي) في شكل رسم مختزل او صورة ايقونة او كتابة متمثلة بعلامة دلالية واذا فهم المتلقي الارسالية سميت العملية تواصلاً من بعدها يجاب عنها بشكل ارسالية راجعة تسمى (الفعل الراجع) ويصبح بدوره مرسلاً.(٢٦-ص١٠)

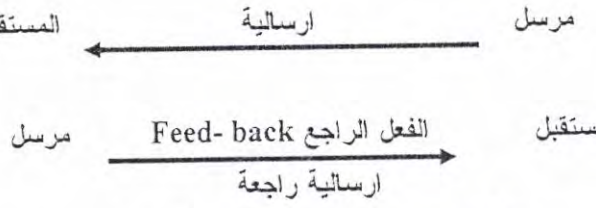

مخطط يوضح طريقة اتصال العلامة بالمتلقي

فالتغذية الراجعة (Feed- back) هي عملية تعبير متعددة الاشكال تبين مدى تاثير العلامات ورسائلها في المستقبل لدفعه الى استيعاب الرسالة.

والتغذية الراجعة هي عملية قياس وتقويم فعالية المستقبل المرسل وقناة الاتصال ودورهم في انجاح عملية الاتصال (٨٣-ص١٠٩) ويعتمد هذا على طبيعة المعلومات التي تنقلها العلامة فلابد من ارتباطها بحاجات واعراف المتلقي التي تتحكم بمدى تقبله لها او رفضها، والذي بدوره يعتمد على المستوى الثقافي للمتلقي وخزينة المعرفي الذي يساعده في تسهيل تعامله مع ما يحيطه من خلال تفسيره للعلامات الدلالية وحل رموزها ومعانيها.

ويكون للطاقة التعبيرية للشكل او الاشكال المستخدمة في فضاء (العلامة) والمتوزعة فيها اثر على توجيه حواس المتلقي باتجاها مختلفة ، من خلال جذب انتباهه باتجاه الهدف الذي يضعه المصمم في العلامة (٢٠-ص٥٤) ومن خلال توزيعه للعناصر التصميمية المكونة لها وتحريكها في فضاءاتها بما يخدم الرسالة وتحقيق عملية الجذب والشد اليها الذي يعتمد على الاستخدام الفني للاشكال او الايقونات والرموز على نحو منظم ومخطط في ضمن فضاءاتها لتحقيق هدفها في عملية الاتصال.

وان تصميم العلامة اساسا لايصال المعلومة بيسر وباسرع الطرق لكي تحقق نجاحاً في التاثير على المتلقي. لكن العلامة تفقد اهميتها عندما تكون عديمة الدلالة او عندما تكون الافكار الجديدة مختلفة تمام الاختلاف عن افكار المتلقين وثقافاتهم وبهذه الحالة يرفضها المتلقي ولا يتفاعل معها لما يلاقيه من صعوبة في ادراكها (١-ص٩٧) وفي هذا النوع من الاتصال نجد ان هناك جهداً لجعل الاشكال ذات معنى وهذا يعتمد على موضوع العلامة التي تحدد اظهار العلامات بما يناسب ومستوى الاتصال من خلال ابراز الفكرة بشكل مؤثر على الرغم من ان التصميم لا يختلف عن بقية الفنون

التشكيلية، او الموسيقى وغيرها من الفنون التي تعبر عن افكار وعواطف الفنان نفسه لكن الفنون التصميمية المتمثلة بالعلامة والتي لا يمكن ابتكارها بشكل حر بل لابد ان تؤدي وظيفة غرض معين فكل انتاج انساني يتطلب ان يحمل شكله اتصالاً ذو معنى، والمصمم لابد ان يترجم فهمه للموضوع او الفكرة وكيفية تحويلها الى علامة ذات شكل يسهل الوصول اليه ويفهم من قبل المجموع، اذ لابد ان ياخذ المصمم بنظر الاعتبار الاتصال الذي تكونه.

تلك العلامات داخل الفضاء الموجودة فيه فهو لا يصمم لذاته، بل انه يضع تخطيطات دقيقة تسهل وصول الفكرة للمتلقي وهي سمة الاتصال التي تحقق الادراك للمتلقي من خلال تفاعله الجيد معها. وهذا التفاعل مقترن بنجاح العلامة التي تكون محملة فنياً كونها تعكس اتصالاً بين المصمم والمتلقي فالعلامة تقدم نفسها بشكل مباشر لبصرنا وحواسنا الاخرى فهي تملك جوهراً ومادة تتجاوز الجانب اللفظي.

فالمصمم عند تصميمه للعلامة، يصممها كونها وسيلة للمحاكاة من خلالها يعبر عن الموجودات فهو يقلد الاشياء الموجودة ويظهرها بشكل علاقات وهذا لا يعني انه لا يمتلك مخيلة لكنه يصمم العلامة ليس لجعلها فناً فقط، بل للتاثير في الناس بان يعتادوا على ادراك قوة الاشياء التي تنمي لديهم القدرة على فهم العلامة وادراكها (٥٣-ص٤٠).

فالمصمم ذا مستوى عال من المعرفة والدراية ببعض التطورات والتغيرات التي تخص الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وكذلك النقاط المؤثرات لاي تغير ظرفي ، عند ذلك يرقى تصميمه للعلامة الى المستوى الاعلامي المؤثر ليس لشريحة ثقافية معينة وانما على اختلاف الشرائح الثقافية والعمرية من خلال عرضه للعلامات وصولاً الى اقناع وفهم فكرتها التي تخص انشطة معينة للمؤسسات واعمالها الخدمية باسلوب مختصر وميسر. ومن خلالها يمكن اعطاء الناس فكرة عن انشطة هذه المؤسسة اذ تقوم العلامة بنقل الثقافات وتعريف طبيعة البلد الاثرية والدينية

والسياحية والفنية والتكنولوجية وكذلك في المجال الصحي اذ تستخدم العلامة الدلالية المتعارف دوليا مثلاً (العلامة التحذيرية ضد التدخين) فهي متداولة بين اعداد كبيرة من الدول العالمية والاجنبية ومن ضمنها العراق بمفهومها الثابت والموحد او ذات الدلالة الواحدة لتكون لغة مشتركة فنجد المصمم قد استخدم رسوماً دقيقة تخدم غرضه فهو يسعى الى تحقيق هدف ايجابي في ايضاح فكرة الجهة او المؤسسة الصحية في هذا المجال على سبيل المثال.

ولضمان نجاح العلامة في ادائها الوظيفي الاتصالي نجد المصمم يؤكد على اختيار الفكرة التي تناسب الموضوع الذي تتناوله العلامة، ومن خلال طريقة معالجته (للعلامات الايقونية او التمثيلية) التي تتناسب مع الزمن الذي يمثله موضوعها فضلاً عن شكل العلامة ومظهرها وتنظيمها بالشكل الذي يحقق نجاحاً وجذباً بصرياً من خلال تحقيق التفاعل في الاستخدام (١٠-ص٧٩) فكلما كانت العلامة لا تمثل زمنها قلت اهميتها كونها علامة غير عرفية لا يمكن فهما او ادراكها ومن ثم تفقد قيمتها وقدرتها على تحقيق هدفها الوظيفي الارشادي الذي صممت من اجله.

العلامة وعلاقتها بالمجتمع

من الظواهر المشتركة بين عالم العلامات والمجتمع هي لغة الاتصال والتعريف (comunnication) مع المحيط اذ يستخدمها الانسان عبر التقنيات الشكلية المتعددة لاظهار العلامة كوسيلة لتحرير المعنى والاتصال فالمصمميسعى عن طريق الفن الى ان يدخل في تركيب المجتمع فهو المصمم يسهم في احياء التراث الحضاري الذي يتالف منه كيان المجتمع نفسه.

والمصمم عبر تصاميمه وانتاجاته المختلفة يحاول قدر الامكان تقديم المستلزمات المهمة التي من خلالها تحقق تلبية حاجات مجتمعه الجوهرية

بما يناسب تطلعات وحاجات ذلك المجتمع من خلال تنظيم وظيفة العلامة الاساسية لتحقيق الاتصال الاجتماعي عن طريق الوعي الثقافي والمعرفي بالعلامة وهذا الوعي مقترن بتطورات النظم السياسية والاقتصادية والثقافية ومن خلال تطور العادات والعرف التي بدورها تحدث الشكل العام للمجتمع (٣٦-ص١١٨).

وفي كثير من الاحيان تصبح الرسالة الاعلامية حروفاً واشكالاً ميتة على الورق او على سطوح العلامات وعندما ينعدم الفهم تكون العلامات والرموز غير مفهومة للمستقبل (المتلقي)، ويحدث هذا عند استخدام لغة مشتركة دون الالتزام باطار دلالي موحد.

لذا اكد (مونان) ان يكون المرسل او المتلقي في وضع يسمح لهما باستخدام الشفرة الواحدة لتحقيق الاتصال، وان يكون المتلقي ملماً بشفرة المصمم (المرسل) وهو المجتمع ورموزها وتفسيرها فالاتصال ينقل اشارة من مصدر ما الى مقصدها وهو المجتمع فالمصدر الاول الناقل للرسالة هو الفكرة او ومضة في ذهن المصمم يستخدم الاشارة او العلامة الكتابية او الايقونية لتلتقي بحواس المتلقي الى رسالة متماسكة بفهمها المقصد (الثاني) وعن طريق الشفرة تعكس الرموز او الرسالة (١٦-ص٥٦-٥٨) وكما مبين في المخطط ادناه.

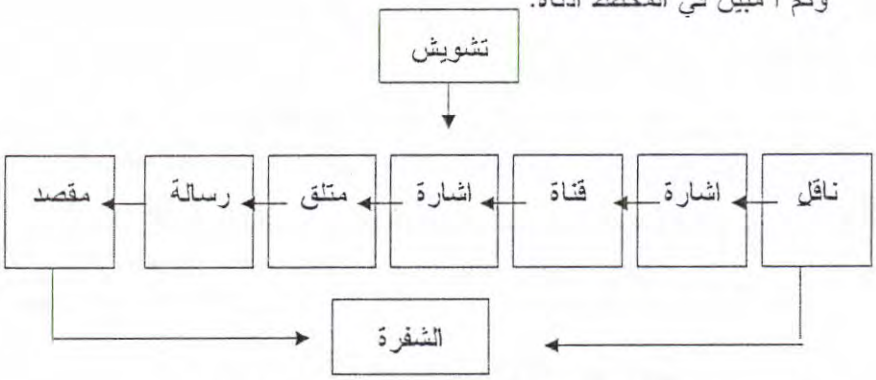

مخطط توضيحي (المصدر : كير ايلام ، ص٥٨)

وبما ان العلامات تعكس المستوى الثقافي للمجتمع فقد عرفت (Sarlene J. smeirczek) العلامات والتراكيب (النسيج البصري) التي نشاهدها يومياً بانها تعبير حضاري او ثقافي وان مجموع عناصر البيئة بتشكيلاتها والوانها وخطوطها ومن ضمنها العلامة هي تعبير ثقافي لهذا المجتمع فتطرح السؤال الاتي (كيف نفهم ما تقوله العلامة عن ثقافتنا او كيف نفهم ثقافتنا من خلال العلامة وتكويناتها).(135, p.282).